

سلسلة كناشات الطلب

(١)

هل تعلم ؟

لو قرأت أي كتاب ستجد في مقدمته اعتذار الكاتب عن أي سهو أو خطأ ، إلا المصحف فإن في مقدمته ، سورة البقرة وأول آياتها (ذلك الكتاب لا ريب فيه)

مقتطفات في إعجاز القرآن

مستفادة من كتابي إعجاز القرآن للباقلاني والرسالة الشافية
للجرجاني

انتقاء واختصار

د . محمد بن رزق بن طرهوني

١٤٠٣ هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فهذه سلسلة من التعليقات العلمية من مخزون ماكنت أقيده أيام الطلب آثرت إخراجها
لعلها تقع في يد طالب علم يستفيد بشيء مما فيها فيكون ذخرا لي في حياتي وبعد مماتي
أسأل الله تعالى القبول والنفع .

وأرجو من القارئ التجاوز عن الهنات والزلات والخدمة العلمية المتواضعة فما هي إلا
كناشات أيام الطلب غفر الله لي ولكم .

وأول هذه السلسلة : مقتطفات في إعجاز القرآن البياني الذي هو أصل إعجاز القرآن
مع الأخذ في الحسبان وجوه الإعجاز الكثيرة الأخرى كالإعجاز العلمي والعددي وغير
ذلك .

المعجز شيء خارق للعادة يعجز البشر عن الإتيان بمثله والقرآن معجز لعجز العرب عن الإتيان بمثله.

وشرط المعجز أن يأتي به نبي ليكون دليلا على نبوته ويعجز عن مثله الخلق والقرآن هو المعجزة الخالدة بخلاف معجزات الأنبياء الأخرى التي انقرضت.

نبوته صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

لا بد أن يؤتى النبي صلى الله عليه وسلم دلالة على صدقه ليتبين الناس صحة ما ادعاه وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وتحداهم إلى الإتيان بمثله فعجزوا فدل على أنه صادق في أن الذي أنزله هو الله عز وجل، ولما عجزوا عن الإتيان بمثله تحداهم إلى عشر سور منه فلما عجزوا تحداهم إلى سورة فلما ثبت عجزهم سجل ذلك العجز بسورة الإسراء "قل لئن اجتمعت...."

- نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بنيت على هذه المعجزة الخالدة أما غيرها من المعجزات فلا أوقات وأحوال خاصة.

- القرآن الكريم يزيد عن الكتب السابقة إعجاز نظمه ولم يحدث تحد إلى الكتب السابقة.

- من الآيات الدالة على لزوم الحجة به وأنه كاف لإثبات النبوة :

١- "ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته..."

٢- "وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه... أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم"

و كلام النبي صلى الله عليه وسلم دون القرآن في الإعجاز :

قال تعالى : "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وروي عنه أنه قال "أنا أفصح العرب

بيد أني من قريش" وقال "أوتيت جوامع الكلم"

وجه الدلالة على أن القرآن معجز

- أن الله تحدى العرب على أن يأتوا بمثله وقرّعهم على عجزهم فسلموا ولم يعارضوا وهذا دليل على أنه من عند الله لأنهم أهل اللسان والفصاحة.

قال تعالى: " وإن كنتم في ريب... "

" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور... "

" فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو... "

" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله... "

وفي الآية الأخيرة تحدّ إليه ثم إخبار بأنهم لن يستطيعوا الإتيان بمثله !!!

وقد أسلم كثير من فصحاء العرب حين سمعوا القرآن كجبير بن مطعم ، وعمر بن الخطاب أما متعب بن ربيعة فقد عرف بلاغته وإعجازه

فصل في القول بالصرفة :

لا شك أن الذين قالوا بالصرفة توهموا أن التحدي كان إلى المعاني واللفظ بعينهما.

ومعنى الصرفة: أن الله صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن مع قدرتهم على ذلك ولولا سلبهم هذه القدرة لأتوا بمثله.

وهذا باطل فهو يعني عدم الأفضلية للقرآن على سائر الكلام وأنه لا يتضمن أي إعجاز إنما الإعجاز في الصرفة .

وقد عارض المشركون شعر حسان بن ثابت وعارضهم ، واعترفوا بفضل كلام القرآن على

كلامهم وقد ورد في الأثر " فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه "

ومما يدل على فساد قولهم قوله تعالى " قل لئن اجتمعت... " فلا يكون التحدي إلا في شيء

كان يظن القدرة عليه ثم يعجز عنه وهنا يثبت الإعجاز وخصوصا عندما تجتمع القوى لتؤيد

بعضها البعض فيما لا يقدر عليه الواحد .

دلائل أحوال العرب وأقوالهم على إعجاز القرآن

١_ دلائل الأحوال:

كان الشاعر إذا سمع بشاعر آخر أجاد في قصيدة أو غيرها عارضه بما يفوقها ولو بعدت الأماكن ولكن لا أحد عارض القرآن بالرغم من تحديه لهم للعجز التام عن ذلك فقابلوه بكل قبيح وأخيرا بالحرب .

٢_ دلائل الأقوال:

أ_ الوليد بن المغيرة :

أنكر في ملاء قريش أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم مجنون أو كاهن أو شاعر وأن الناس لن يصدقوهم في الموسم إذا قالوا ذلك فظنوا أنه صبا فأرادوا جمع المال له ليرجع عن ذلك فأخبرهم بأنه على دينهم وأن الأصح أن يقال إن محمدا (صلى الله عليه وسلم) ساحر لأنه فرق بين الناس فأنزل تعالى "إنه فكر وقدر..."

ب_ عتبة بن ربيعة :

أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد إسلام حمزة وكثرة المسلمين وعرض عليه المال والشرف والملك والطب إن كان به رأي من الجن فقال له صلى الله عليه وسلم : أوقد فرغت ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مني ثم تلا عليه بداية سورة "حم فصلت" فقال له : أنت وذاك ثم أتى أصحابه فقال : والله ما سمعت بمثله قط وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة فخلوا بينه وبين ما هو فيه فإن ظهر فملكه ملككم وإن تصبه العرب فقد كفيتموه فقالوا سحرك بلسانه قال فاصنعوا ما بدا لكم .

ج_ أنيس أخو أبي ذر :

كان أنيس أحد الشعراء وانطلق إلى مكة في حاجة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد وضعت قوله على أقرأ الشعر فما هو بالشعر وما هو بالكهانة وإنه لصادق وإنهم لكاذبون.

د_ الوليد بن عقبة :

أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقراً عليه "إن الله يأمر بالعدل والإحسان..." فقال أعد فأعاد فقال: "والله إن له لحلاوة...وما يقول هذا بشر"

قال الجرجاني: إنما المعجز ما عرف أنه فوق قوى البشر وقدرهم ، وقد عجز العرب عن معارضة القرآن بالرغم من اشتهار المعارضة بينهم في صنوف الكلام بدون أن يدعوا إلى ذلك فكيف وقد دعاهم القرآن للتحدي ومع ذلك لم يجروا على مثل هذا.

وقد عجز العرب عن معارضة القرآن ليس في النظم فقط وإنما في الإتيان بمثل هذا النظم في مثل معاني القرآن .

ولا يظن ظان في أن التحدي إلى المعاني نفسها وفي نظم يوازي النظم تماما وإنما التحدي في أي معنى شاءوا بنظم يبلغ نظم القرآن أو يقرب منه ، يدل على ذلك قوله تعالى "قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات..." وهكذا كانت المعارضة بين الشعراء في حسن النظم ، ولو دعوا إلى المعاني نفسها لاحتجوا بذلك وقالوا بأنهم قادرين على النظم كما في معارضاتهم الشعرية .

وجوه إعجاز القرآن

١_ الإخبار عن الغيوب مثل : ظهور دين الإسلام على غيره ، غلبة الروم ، إحدى الطائفتين في بدر... والآيات في ذلك كثيرة .

٢_ الإخبار عن الأمم الماضية منذ خلق الله آدم بالرغم من كونه صلى الله عليه وسلم أمياً "وما كنت تتلو من قبله من كتاب..."

وهو في إخباره عن الأمم كالمشاهد قال تعالى: "تلك من أنباء الغيب..." ، "وما كنت بجانب الغربي..." ، "وما كنت بجانب الطور..."

٣_ براعة النظم والتأليف ويرجع إلى عدة معان:

أ_ نظم القرآن ككل خارج عن المؤلف من كلام العرب كالشعر والنثر وغير ذلك.
ب_ فصاحة الألفاظ وقوة المعاني وكثرة الحكم مع عدم التفاوت والاختلاف مما لا يعرف في أسلوب أحد من البشر قال تعالى: " الله نزل أحسن الحديث.. " ، " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا..."

ج_ اشتمال القرآن على كثير من الأغراض مثل القصص والمواعظ والحكم والإعذار والإنذار والأحكام وقد جاء في أروع ما يمكن أن يكون من براعة النظم والتأليف أما الشاعر البليغ فلا يجيد إلا لونا واحدا أو لونين فإذا خرج عما اعتاد عليه وبرع فيه أساء وقصر.

د_ أنه وقع موقعا من البلاغة عجز عن الإتيان بمثله الجن كما عجز الإنس لأنه تحداهم فلم يستطيعوا الإتيان بمثله قال تعالى: " قل لئن... " ، " وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن..." ، " قل أوحى إلي..."

هـ_ اشتماله على جميع أنواع البلاغة ويتجاوزها إلى ما لم يعرفه العرب ولا يستطيعونه.
و_ يتضمن كثيرا من الأحكام الرائعة التي لا اختلاف فيها والردود على الملحددين بأبدع الحجج والألفاظ فأتى بتشريع متكامل وهذا لا يستطيعه أي بشر.
ز_ إذا اقتبس منه الأدباء بعض ألفاظه جعل أسلوبهم وزادت فصاحته وتكون الآية كالقلادة في العقد.

ح_ أنه تألف من حروف العرب وقد افتتحت السور بهذه الحروف وفيها تنبيه على أن القرآن من هذه الحروف ومع ذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

ط_ أتى في أسلوب سهل لا غموض فيه له تأثير عجيب في النفوس يبادر معناه لفظه إلى القلب .

نفي الشعر عن القرآن

_ قال تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له..." ، "وما هو بقول شاعر..." ، "والشعراء يتبعهم الغاؤون..."

_ ولو كان القرآن شعرا لعارضه العرب لسهولة الشعر عليهم.

_ ليس شعرا لأن الشعر له أبحر معينة وأوزان لا بد ألا يخرج عنها وهذا غير موجود في القرآن أما موزون الكلام وتساوي أجزائه فهذا لا يسمى شعرا.
_ اعتراف بعض العرب بأنه ليس بشعر .

السجع في القرآن الكريم

_ تعريف السجع عند علماء البلاغة هو : "توافق الفاصلتين في كل فقرتين أو أكثر في الحرف الأخير"

وتسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلة وتسكن من أجل الوقف .

_ أحسن السجع ما تساوت فقره وكان رصين المعنى بعيدا عن التكلف .

والسر في جماله إيقاعه الموسيقي في الأذن مما ينبه السامع ويشوقه .

ولجمال السجع كثر في كلام البلغاء وقد أخطأ الباقلاني في تعريفه للسجع بأنه كلام يتبع المعنى فيه اللفظ لأنه تعريف قاصر شمل النوع الرديء منه فقط وسكت عن النوع الم محمود الذي جاء به الكلام البليغ وأتى به الحديث وأتى به القرآن في أعلى درجات الجمال وأقصى مراتب البلاغة.

_ ينفي الباقلاني السجع عن القرآن تبعا للأشاعرة ويدعي أنه لو كان في القرآن سجع لما خرج عن أساليب العرب وأن السجع من صفات الكهان وهو يتنافى مع النبوة ويحاول إبطال القول الآخر.

— ظن الباقلاني وفريقه أن حديث "أسجعا كسجع الجاهلية وكهانتها" فيه ذم للسجع عامة ولو كان كذلك لقال "أسجعا" فقط وإنما المذموم ماسجع للتمويه وإبطال الحقوق وإضاعة الحقيقة.

وقد ورد السجع في الحديث الشريف: "أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"

كيفية الوقوف على إعجاز القرآن

١— أهل اللسان غير العرب يكفيهم معرفة عجز العرب عن معارضة القرآن ووقوفهم مكبلين أمام التحدي الصارخ ليقف على إعجاز القرآن.

٢— ومثله العربي الذي لم يعرف الحد الذي يميز به بين الأسلوب الفصيح وغيره ولا يعرف صنوف البلاغة.

٣— أما الذي برع في صنعة اللسان العربي ويعرف جيد الأساليب من رديتها فيستطيع الوقوف على إعجاز القرآن بالنظر والتأمل في شريف نظمه وبديع تأليفه.

وقد عرف العلماء البلاغة بأنها ما كان جزل اللفظ حسن المعنى "وأنها الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس في عبارات جلية ومعان نقية بهية"

والباقلاني حين يبين أن القرآن كان له الفضل في هداية البشر يسوق آيات كثيرة ولا يعلق عليها إلا تعليقا قاصرا لا يبين مواطن الإعجاز فيها لأنه مفتون بروعة النظم وبديع التأليف وحجته في ذلك أن الأمر واضح.

القدر المعجز من القرآن الكريم

ما كان في قدر أقصر سورة مثل الكوثر لأن الله تحدى العرب إلى سورة واحدة فالقصيرة تؤدي ذلك.

وهل يعلم إعجاز القرآن ضرورة أو استدلالاً؟

بالنسبة للأعجمي والعامي غير المتبحر ضرورة إذا رأى عجز العرب عن الإتيان بمثله أما العالم المتبحر فبالاستدلال .

والإعجاز يتعلق بنظم القرآن وما احتواه من معان سامية والدليل على أن التحدي في اللفظ والنظم:

١ _ بدء بعض السور بالحروف المقطعة للدلالة على أنه يتركب منها وهي عندهم .

٢ _ أن الله تحداهم قائلاً "قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات"

وصف وجوه البلاغة في القرآن

_الإيجاز:

١ _ إيجاز حذف: "واسأل القرية..."

٢ _ إيجاز قصر: "ولكم في القصص..."

ألفاظ قليلة ذات معان كثيرة مع عدم الإخلال.

_التشبيه:

"والذين كفروا أعمالهم كسراب..." تشبيه شيء بشيء آخر تجمع بينهما صفة تكون في المشبه

به أقوى من المشبه (أركانه: مشبه ، مشبه به ، أداة تشبيه ، وجه شبه)

_التلاؤم:

جميع ألفاظ القرآن متلائمة أي سلسلة سهلة النطق يرتاح لسماعها

وهو ضد التنافر نحو "وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر"

_التجانس:

يشمل:

١_ المزوجة "ومكروا ومكر الله" الأولى بمعنى العصيان والثانية بمعنى العقاب.

٢_ المناسبة: "يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار..." القلوب هي موضع الخوف.

_التصريف:

تصريف الكلام في المعاني المختلفة نحو تصريف "الملك" في الصفات ومعنى التملك .

_التضمين:

"بسم الله الرحمن الرحيم" يتضمن تعليم الاستفتاح في الأمور بها ، وهو حصول معنى من غير ذكر له باسم أو صفة.

_المبالغة:

تدل على كثرة المعنى.

١_ في الصفة "الرحمن"

٢_ في اللفظة "خالق كل شيء"

٣_ في العبارة "لا يدخلون الجنة حتى يلج..."

_حسن البيان:

الأسلوب الفصيح الخالي من الأخطاء ومنه ما يدرك بالتعلم كالشعر والنثر وغيره ومنه ما لا طاقة للإنس والجن به وهو القرآن الكريم.

بعض أمثلة البديع في القرآن

— "إن الذين اتقوا إذا مسهم... "ترصيع وهو جمال الأسلوب وحسن اختيار الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب.

— "ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون... "ترصيع مع التجنيس.

— "يولج الليل في النهار... "عكس وتبديل كقول الحسن "إن من خوفك لتأمن خير ممن أمنك لتخاف"

— "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح... "التفات وهو انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة أو العكس.

— "إن فرعون علا في الأرض... إنه كان من المفسدين" تذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهم ويتأكد عند من فهمه .

— "أو لم يروا إلى ما خلق الله... والله يسجد... "استطراد وهو أن يأخذ المتكلم في معنى معين فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه.

— "فإن مع العسر يسرا... "تكرار.

— "قل يا أيها الكافرون... "تكرار.

ومن البديع ضربان ليسا في القرآن وهما:

١_ المبالغة والغلو في المعنى:

ومثال الأول:

ونكرم جارنا ما كان فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومثال الثاني:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنما لنرجو فوق ذلك مظهرا

٢_ الاستثناء بغير:

مثاله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فلا يبقي من المال باقية

بعض أمثلة البيان في القرآن

- "واخفض لهما جناح الذل... استعارة تصريحية.
- "وإنه في أم الكتاب... كناية عن اللوح المحفوظ.
- "واشتعل الرأس شيئا... استعارة تبعية.
- "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار... استعارة مكنية.
- "أو يأتيهم عذاب يوم عقيم... استعارة مكنية.
- "نور على نور... تشبيه تمثيلي.
- "ولكم في القصص حياة... تقديم وتأخير وإيجاز قصر.
- "خلصوا نجيا" إيجاز قصر.
- "وله كل شيء" ، "وما بكم من نعمة فمن الله" إيجاز قصر.
- "لمن الملك اليوم... استفهام للتقرير.
- "وله الجواري المنشآت... تشبيه حسن.
- "كأنهن بيض مكنون... تشبيه حسن.
- "وإنه لذكر لك ولقومك" استعارة تصريحية.
- "صبغة الله... استعارة تصريحية.
- "اشتروا الضلالة... استعارة تصريحية.
- "يوم نقول لجهنم هل امتلأت... إفراط في الصفة.
- "إذا رأيتم من مكان بعيد... إفراط في الصفة.
- "فما أصبرهم على النار... مماثلة وهو ضرب من الاستعارة أي فما أصبرهم على المعاصي...
- "وثيابك فطهر... مماثلة أي قلبك ونفسك.
- "يخرج الحي من الميت... مطابقة.
- "فأقم وجهك للدين القيم" ، "أسلمت مع سليمان" ، "يا أسفي على يوسف" تجنيس اشتقاق.

— "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن... تجنيس اشتقاق.

- "وهم ينهون عنه وينئون عنه" جناس ناقص.
- "فأما من أعطى واتقى... " مقابلة.
- "كل نفس بما كسبت رهينة... " مساواة وهي أن يكون اللفظ مساويا للمعنى.
- "والسماء ذات البروج... " موازنة وهي تساوي الجمل.
- "ولو أن قرآنا سيرت... " إشارة وهو استعمال اللفظ القليل على معان كثيرة.
- "فمن تاب من بعد ظلمه فإن الله يتوب عليه... " توشيح وهو أن يشد أول الكلام بآخره.
- "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض... " رد للعجز على الصدر.
- " لا تفتروا على الله كذبا... " رد للعجز على الصدر.
- "الله ولي الذين آمنوا... " حسن تقسيم وهو في الشعر تقسيم البيت أربع أقسام متساوية.
- "إن الله عنده علم الساعة... " تكميل وتتميم حيث أتى بجميع المعاني المتممة للمعنى الذي بدأ به.

تم بحمد الله

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم